تحديات ترجمة الشعر

عبد الله حرمه
جامعة أدرار
abde.harma@univ-adrar.edu.dz

DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v5i2.372

الملخص

تعد ترجمة الشعر من العمليات التي تحتاج جهدا فكريا وفنيا كبيرين، فرهافة المضمون لها أبعاد نفسية عميقة تختلف باختلاف أنواع التعبير المتعددة، كما لها علاقة نسقية تحتم على المترجم تجاوز التفسيرات التقليدية المحتملة للنص الأصلي، وهذا لقلة المختصين بهذا الفن ولصعوبة مكوناته واختلاف مجالاته عند الدارسين الأوائل والحاليين، فنجد تحديا صعبا أمام الكفاءة الدلالية والأسلوبية، فمشاعر صاحب النص ترتبط أساسا بباطنه سواء كان هذا النص: شعرا، أو قصة، أو مسرحية وعليه سنحاول التعرض لهذه الإشكالات والتحديات في ترجمة الشعر ببعض أغراضه وأنواعه.

الكلمات المفتاحية: الترجمة؛ الشِّعر؛ المعنى؛ الدقة؛ الأصل.

Abstract

The translation of poetry is one of the processes that requires a great intellectual and artistic effort. The subtlety of the content has deep psychological dimensions that differ according to the various types of expression. It also has a systemic relationship that requires the translator to go beyond the possible traditional interpretations of the original text. This is due to the lack of specialists in this art and the difficulty of its components and the different fields of the early scholars and the current ones. We find a difficult challenge in the face of semantic and stylistic competence, for the feelings of the owner of the text are mainly related to his innermost, whether this text is poetry, a story or a play. Accordingly, we will try to address these problems and challenges in translating poetry with some of its purposes and types.

Keywords: *translation; Poetry; the meaning; Precision; the origin.*

مقدمة:

تختص الترجمة بنقل ثقافة أخرى إلى القراء، فإن أخطأ المترجم، وجانب الصواب في ترجمته لسبب من الأسباب، فإنه سيؤدي إلى تشويه الثقافة المنقولة، واضطراب القراء في فهمها على وجهها الصحيح؛ مما يخل بالمحتوى بين الثقافتين وانحيازه عن أصله الموضوع له في الأساس، باختزال أو حذف أو تغيير يوصل إلى مشاكل تلخص في الغموض، وتعدد التأويلات، ويرجع اختياري لهذا الموضوع إلى الرغبة في تقفي بعض الدراسات السابقة لمسار الترجمة التي سلكها المترجمون المتخصصون في الترجمة الأدبية كمحمد مندور وإنعام بيوض، كما تهدف هذه الدراسة إلى اكتشاف صعوبات الترجمة الأدبية باتباع المنهج الوصفي التحليلي الذي أخرج لنا أسئلة وهي: ما مكانة المعنى في الدراسات الترجمية الشعرية الأولى من وإلى اللغة العربية قديما وحديثا؟ وبم يتحقق الأهم في الترجمة الأدبية المنشودة التي تحافظ على مصداقية العمل الأصلي؟ وكيف تعاملوا مع مشاكل الترجمة الأدبية خاصة الشعرية؟

تمهيد:

الترجمة ضرورة حضارية، ونشاط فكري، ومد لجسور التواصل بين الحضارات التي تتقارب، وتتباعد فيما بينها، وتتشابه، وتختلف لغاتها في طرق التعبير وأساليب البيان والإفصاح عن الأفكار والمشاعر والمواقف، وفي النظرة للعالم واستيعاب مفاهيمه. ولا يخفى أن الترجمة الأدبية من أعقد أنواع الترجمة؛ إذ لا يكاد يخلو مسارها من مطبات، ولعل السبب في ذلك يعود لكونها عملية مقاربة بين طرائق وأساليب لغوية مختلفة، فهي بقدر ما تسعى إلى إعادة صياغة المعنى، تتوخى إعادة سبك الأساليب في اللغة المستهدفة لخلق نفس الأثر الجمالي الذي تحدثه قراءة النص الأصل.

إن دور المترجم الأدبي مزدوج، إذ تتلخص مهمته في نقل ما يقوله الكاتب بالطريقة التي قصدها في نصه، فهو يسعى بذلك إلى نقل المعنى والأسلوب في آن واحد. وتفهم الكيفية التي توصل من خلالها المترجم إلى تحقيق ذلك، وقد وجب علينا الوقوف على المنهجية التي سلكها وتقفي مسار الخطة التي اتبعها.

المطلب الأول: ما يهمّ عملية الترجمة الأدبية

01- مسألة المعنى في دراسات الترجمة: تتطرق إلى الدراسات المقارنة والأدبية والثقافية واللغوية.

- **الدراسات اللغوية:** توضح أن الترجمة ترتبط ارتباطا وثيقا باللغة، فهي عملية محققة باستبدال نص بنص آخر في لغة مختلفة دون إدراك طبيعة المعنى وأهميته، فكانت نظرية الترجمة معتمدة على نظرية اللغة؛ أي أن المعنى ليس سوى خاصة لغة معينة، وأن النص في اللغة الأصل يملك معنى ملازما للغة الأصل، وأن النص في اللغة الهدف يملك معنى ملازما للغة الهدف.
- **الدراسات المقارنة:** تبيّن أن الترجمة تطبيق عملي للأسلوبية المقارنة من خلال شرح آلياتها وتسهيل إنجازها في وضع قواعد صالحة للغتين، ومقارنة التراكيب اللغوية بدل مقارنة الأنواع الأدبية.
- **الدراسات الأدبية:** كانت قبل ألفي سنة قبل ظهور اللغويات الحديثة، واعتبرت أن الترجمة إنتاج نص جديد دون الاهتمام بقضايا إشكالية المعنى، والمساواة بين المؤلف والمترجم الذي يقوم بعملية تفسير ذاتي بغية إظهار الطاقات الإبداعية الفنية.
- **الدراسات الثقافية:** توضح أن الترجمة بين اللغات ليست موجودة ولكن بين الثقافات؛ لأن المواقف والقيم والتجارب والتقاليد هي من تقوم بشحن المعنى الذي تقوم به لغة ما.

02- الاتجاه الوجداني في الترجمة:

وقد حظيت الاتجاهات الوجدانية بعناية خاصة لدى أدبائنا المحدثين، فقد دافعوا عن مذهبهم بما التمسوه في الأدب الغربي والعربي من شعر يوافق مُثُلَهم الفنيّة، وتمثل مختارات العقاد الشعرية المترجمة في "عرائس وشياطين"، هذا الضرب الناضج من فن الترجمة، واستفادة تلاميذ العقاد من هذه المجموعة يتجلى فيما ذهب إليه سيد قطب من نظرية "الفطرية في النقد" (العبد، 2005م، صفحة 28).

وتكتمل بترجمة محمد مصطفى بدوي المتأخرة لـ: "الفكر الأدبي المعاصر" لجورج واسطن (ط 1980م) وجهة نظر له في الترجمة نوجزها في أنه قد كان هدفه منذ سنين أن ييسر للقارئ العربي الذي لا يتقن الإنجليزية الاطلاع على بعض المؤلفات الهامة في النقد الأدبي في هذا القرن، كلما أتاحت له ذلك ظروف الحياة، وغايته من تنوع مترجماته أن يمكن القارئ من تكوين فكرة متزنة عن النقد الغربي، فحين ترجم لريتشاردز "مبادئ النقد الأدبي رأى من واجبه ترجمة "الشعر والتأمل" لمعارضة هاملتون (العبد، 2005م، صفحة 29).

تركز إنعام بيوض على ضرورة الوعي بأسس اختيار العمل المراد ترجمته وأسبابه، مما يدل على أنها تنتقي الأجود والأصلح، حتى تكون الترجمة وسيلة تفاعل ثقافي واستزادة، ونستشهد بمقولة أوديت بوتي في هذا السياق: "أن تحسن اختيارك معنى ذلك حكم ضمني

بالجودة على النص الذي اخترت، والذي ستبني على أساس جودته ترجمتك" (بيوض، 2003م، صفحة 73). وهذا يعني أن من شأن هذا الاختيار أن يعكس شخصية المترجم وميوله في أغلب الأحيان، وكفاءته واستعداده النفسي.

03- التأصيل لفن الترجمة:

يرى الدكتور مندور في مجال التأصيل للفنون أن أثر الاتصال بالغرب في شعرائنا المجددين من أمثال عبد الرحمن شكري وإخوانه في شعرنا العربي المعاصر ينحصر في مجرد أنه ردهم إلى المعنى الاشتقاقي الخالد للفظة "شعر" في لغتنا، ومن هنا التقاؤهم الغريب مع الرومانسية. كما أن للنشر والترجمة لمدرسة الديوان فضل في تعرف الناشئة مزية الكلام البليغ؛ تظهر لنا أثر الترجمة معادلا لأثر الإحياء عندهم (العبد، 2005م، صفحة 38).

وهو أثر استبعد منه العقاد مذاهب الهزل الأوربية، كما استبعد جديد الأوزان والقوافي لاستغناء العرب بما لديهم من كل ذلك، وهو ما لا يقتصر على أمة دون أمة، ثم إنه لم ير المذهبية الجادة في الغرب تخرج عن حدود الطبيعة الإنسانية في كل الأمم والأجيال، لكنه ذكر آثارا محمودة للمذاهب الغربية في الاتجاه الاجتماعي، وهي آثار قد انتقلت إلى الشعر العربي وصور التعبير الأخرى منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين (العبد، 2005م، صفحة 38).

ولا يتم ذلك إلا من خلال اتباع منهج الترجمة الدلالية التي تحافظ على نغمة النص الأصل، ولهجة المؤلف، وطريقته في التعبير، وكما لا يسمح هذا بإجراء أي تعديل أو تحسين على النص.

ومعنى هذا كله أن الترجمة كانت من عوامل بعث القديم والتذكير بفضله في إطار حركة الإحياء العامة، شأنها في ذلك شأن معظم عوامل الاتصال غير القسرية بالغرب. لكن الأمر يزداد غموضا وغرابة، فنجد السيد قطب يكاد يدين بالفضل للترجمة عن الأدب الوجداني الغربي في معاونته على إدراك حقائق وظلال الجمال الفطري في القرآن الكريم، ذلك الجمال الذي ذكر أنه يندر في الأدب العربي (العبد، 2005م، صفحة 39).

04- أثر اللغات الأجنبية في الأدب العربي الحديث:

ويحوجنا الأمر كي نلم برأي محدد للدكتور أنيس المقدسي في أثر للغات الأجنبية في الأدب العربي الحديث، فقد رأى أنه حقا قد نشأ في بعض البيئات العربية طبقة تكاد تقطع الصلة بينها وبين لغتها وتاريخها، فلم تسهم في حركة التجدد القومية التي يمتاز بها عصرنا، ولكنه قد قام بهذه الحركة فريق آخر جلهم من الذين قرنوا دراساتهم بالآداب الإفرنجية بتوفرهم على درس آدابهم القومي، والمحافظة على أساليبه اللغوية، وذكر أن التجديد نما نموا سويا، وله في النثر والشعر ظواهر عامة أهمها:

أ- **في النثر:** تجدد الأسلوب الإنشائي.

تطور الفنون الكتابية.

ب-**في الشعر:** التصميم الفكري، أو المحافظة على الوحدة في النظم والتسامي الخيالي، أو توخي الروعة البيانية.

حرية الإخراج والتفنن في أساليب التعبير (العبد، 2005م، صفحة 39).

يعد الشعر كتابة مختلفة عن الكتابة الروائية في بنيته، وأهم ما يميزه عن الرواية هو الوزن والقافية، وهو ما يجب على مترجم الشعر أن يراعيه عند تناوله إياه. ولأن أسلوب التعويض يهتم بالوفاء للإيقاع المتوثب بين مقاطع النص الأصلي، لينسج على منواله إيقاعا مكافئا في اللغة المستقبلة، فهو يختص بالترجمة الشعرية أكثر من غيره.

وبعدما بينا من نجاح أثر الترجمة في إحياء وإخصاب مناهج البحث خاصة، وما بين ذلك من آثارها في بعض الأدب الواقعي، فإننا نذكر أننا نرى أن النجاح والعمق قد تسنى للترجمة أن تظهرها في فني القصة القصيرة والشعر خاصة... (العبد، 2005م، صفحة 45).

05- الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية:

حين يترجم المترجم بداية نص ما فإنه يكتسب معلومات ضرورية لفهم بقية النص نفسه، وخلال ترجمته لوثائق تقنية أو منتجات جديدة، فيفهم آليات جديدة ويفككها، حينها يزيد بهذه الطريقة من ثقافته الموسوعية التي ستفيده للقيام بأعمال أخرى (دوريو، 2007م، صفحة 44).

وكذلك قل حظ الأدباء الأوربيين المحدثين من الاطلاع على الأدب العربي، فلم يتعد ما قرأه "مورافيا مثلا" بعض الشعر العربي والفارسي الذي تفسده الترجمة في رأي الأديب الإيطالي نفسه (العبد، 2005م، صفحة 54).

- **في الترجمة الأدبية:**

لا يستطيع المترجم نقل عمل أدبي ما من لغة إلى لغة أخرى بشكل مرضي تماما إلا إذا ارتبط به ارتباطا يصل درجة العشق أحيانا، فهو يواجه في ترجمته للعمل الكثير من العقبات التي لا يمكنه التغلب عليها والحفاظ على "حياة" هذا العمل في نفس الوقت ما لم يكن لذلك العمل صلة شديدة بالخصوصية به. لقد كنت وقبل الكثير ضد ترجمة الأدب، ونحن نقر أن العمل الأدبي يفقد شيئا

ما عند الترجمة، ولكن تكفينا نظرة إلى بحر الأدب المترجم في لغات الأرض الكثيرة لندرك أن أكثر ما كتب، وقيل مجرد هراء نظري. لقد أصبح الكثير من الترجمات الادبية أعمال أدبية عظيمة، وجزء عزيز من تراث الشعوب، فعمل المترجم الحاذق يعوض النص ما يفقده عند الترجمة، فإن كان صعبا فهو ليس بالمستحيل، وإن فقد الأصل شيئا فقد كسبت لغة أخرى ترجمة قد تداني الأصل عظمة، وقد تفوقه (يوئيل، حسن، الحلبي، و شاكر، د ت، صفحة 383).

وفي هذا السياق نجد الأستاذ حسام الدين مصطفى يقول: "إذا كانت أمانة الترجمة تقتضي أن يخفي المترجم ذاته، ويتفادى الظهور كوسيط بين صاحب النص ومتلقيه، فإن الترجمة العلمية أسهل من الترجمة الأدبية في تحقيق هذا الأمر، حيث يلتزم المترجم بالدقة المتناهية التي تتفادى أي تصرف، أو تدخل من المترجم في أسلوب وصياغة ومضمون النص الأصلي" (مصطفى، 2011م، صفحة 73).

- **الترجمة الأدبية عملية إبداعية:**

من الصعب أن يتمكن المترجم الأدبي من ترجمة نص لا يترك في نفسه أي صدى، ولا يثير فيها الرغبة في ترجمته والإحساس بقدرته على ذلك، ولا يستطيع المترجم مهما توخى الموضوعية إلا أن يترك بعضا من ذاته في الترجمة نتيجة لفعل الالتحام والاندماج بين الكاتب والمترجم الذي يحدد الاستراتيجية أو الخطة التي سيتناول بها المترجم نصه المعد للترجمة (بيوض، 2003م، صفحة 49).

- **عناوين الأعمال الأدبية في عملية الترجمة:**

أما فيما يتعلق بعناوين الأعمال الأدبية فمن الأفضل اعتماد العنوان الشائع في اللغة العربية، حتى إذا اعتقد المترجم أن ترجمته للعنوان أفضل من الترجمة المعروفة، استطاع أن يثبت ترجمته إضافة إلى الترجمة الشائعة، شارحا السبب في تفضيل هذه الترجمة على تلك (يوئيل، حسن، الحلبي، و شاكر، د ت، صفحة 384).

لنأخذ مثلا الترجمة الشائعة في العربية لعنوان مسرحية شكسبير Othello (عطيل). أن هذه الترجمة بعيدة ولا شك عن الاصل، وغير مقنعة رغم تبريرات مبتكرها خليل مطران، وإذا رأى المترجم أن (أوثلو) ترجمة أدق للعنوان وأفضل من (عطيل) استطاع أن يثبت ترجمته، ولكن إلى جانب الترجمة المعروفة للسبب آنف الذكر (يوئيل، حسن، الحلبي، و شاكر، د ت، صفحة 384).

على المترجم تجنب التعليقات والشروحات قدر الإمكان، وعليه محاولة نقل العبارات والصور والعادات وطرائق التفكير... الخ، التي ليست لها مرادفات دقيقة أو مناسبة في اللغة المترجم إليها بطريقة أو بأخرى بحيث يتجنب الشروحات، وعليه ألا ينسى ولو للحظة واحدة أنه مطالب بأن يكون مبدعا، وهو يتناول نصا أدبيا لترجمته. ولكن ولا شك أن هناك استثناءات بخصوص بعض الشروحات اللازمة لفهم النص وبدونها قد يخسر النص الكثير – كأن تكون شروحات تاريخية أو إشارات للأساطير أو الرموز وما شابه- إذ يحسن المترجم صنعا إذا هو زود قارئه بها (يوئيل، حسن، الحلبي، و شاكر، د ت، صفحة 384).

المطلب الثاني: سأحاول أن أقف فيه على العلاقة بين ترجمة الشعر والمترجم

01- المترجم والشعر:

إن ترجمة الشعر هو بالتأكيد أكثر أبواب الترجمة استخداما، إن مترجم الشعر المثالي هو من ينتج بترجمته عملا شعريا بكل معنى الكلمة، وإن لم يستطع فعليه الاقتراب قدر الإمكان من الشعر على الأقل. وللشكل في ترجمة الشعر أهمية كبرى لأن المترجم مطالب بالإبداع، باختيار أنسب شكل شعري لبعث التأثير الذي يبعثه شكل القصيدة في لغتها الأصلية يجب عليه القيام بما يسمى" The approximation of form " أي إبداع مؤثرات شكلية في ترجمته تنبئ بتلك التي تبعثها القصيدة الأصل. لنتصور مثلا أن مترجما ينقل قصيدة عربية عمودية تلتزم بوحدة القافية إلى اللغة الإنجليزية الذي لم يألف هذا الشكل في لغته سيرفض الترجمة، وتموت القصيدة (يوئيل، حسن، الحلبي، و شاكر، د ت، صفحة 386).

ويتعمق الدكتور محمد عناني في هذا فيقول: " على المترجم أن يضع نفسه مكان الشاعر، وأن يحاول أن يقدم مثيلا لقصيدته بلغته هو، وبإيقاعات هذه اللغة وقوافيها وصورها، وقد يقترب أو يبتعد عن المعاني الأصلية ابتغاءً لهذه الدقة في المحاكاة" (عناني، أدبيات فن الترجمة، 2005م، صفحة 147).

لذا يشدد بعض المترجمين والمنظرين على ضرورة ترجمة الشعر شعرا، لأن النظم جزء أساسي من القصيدة، فإذا أراد المترجم أن ينقل المعنى كما هو فيجب أن يبرز الموسيقى والإيقاع في القصيدة، حتى وإن تلقينا صعوبات بسبب اختلاف الوزن والموسيقى من لغة إلى أخرى.

ونحن ندرج الملاحظات لم نر ضرورة للتنبيه على حرص المترجم على نقل النص بأمانة ودقة، أو إلى عدم تجاوز الحدود المعقولة والمقبولة عند "تصرفه" في الترجمة كلما رأى في ذلك ضرورة. إننا نعد هاتين

الملاحظتين من أدوات المترجم الأولى (يوئيل، حسن، الحلبي، و شاكر، د ت، صفحة 386).

هناك تفرعان أساسيان في ترجمة الشعر: الحرفية أم التصرف، ويقصد بالحرفية ترجمة الشعر نثرا بما يتواءم مع قواعد اللغة المترجم إليها، دون النظر في إيجاد المقابل الفني الجمالي المتمثل في الوزن وموسيقى الشعر، والذي راعاه المترجم، يجد نفسه مضطرا للتصرف –ترجمة الشعر نظما-؛ أي شعرا بشعر.

يطرح هذا جدلية التعامل مع الخصائص الثقافية في اللغة المترجم إليها بما يوافقها على أساس التصرف في كل عناصر القصيدة اللغوية والثقافية، أو الحفاظ على الخصائص الثقافية والحضارية في النقل.ص5 لهذا فالترجمة توفر مصداقية أكبر في عملية التواصل بين المؤلف الأصلي وقارئ الترجمة عبر جسر الترجمة الخفي. وبالتالي " يحقق المترجم أكبر نجاح له في الظهور عندما يختفي وراء المؤلف، حتى يتمكن القارئ من تحسس شخصية وأسلوب المؤلف الأصلي.

02-تطبيق على ترجمة الشعر:

الأبيات التالية للشاعر ابن زيدون الأندلسي يصف الزهراء:

لوْ كان وفّى المُنى في جَمعنا بكُمُ لكانَ من أكْرم الأيّام أخْلاقا

لا سكّن الله قلبا عقّ ذكركُم فلم يَطِرْ بجنَاح الشّوق خفّاقا

لو شاء حَملي نَسيمُ الصبح حين سرى وافاكُم بفتًى أضْنَاه ما لاقَى (ابن زيدون ، 2005م، صفحة 52).

قارن الآن بين الترجمتين التاليتين للنص أعلاه، أحدهما ترجمة نثرية، وهي ترجمة A.J. Arberry ، والثانية شعرية وهي ترجمة R.A. Nicholson (يوئيل، حسن، الحلبي، و شاكر، د ت، صفحة 489):

I forly death had fulfilled our union with you,it would have been the most generous of days.

May God not give rest to hear visited by your rememdrance, and it did not fly on the fluttering wings of yearming !

Had the zephyr's breath when it blew. Wished to transport me, it would have browght to you a youth emaciated by what he had encountered.

Had death come ere we parted, it had been

The best of all days in the world, i ween ;

And this poor heart, where thou art every thing.

Would not b fluttering nou on passion's wing.

Ah, might the zephyr waft me tenderly,

Worn out with anguish as I am,to thee I

O treasure mine, it lover e'er possessed.

لا شك أن ترجمة Arberry للنص الشعري العربي ترجمة أمينة ودقيقة، تكاد تكون حرفية، ولكنها أبعد ما تكون عن الشعر، وتكاد تشبه الشروح التوضيحية عند مقارنتها بالنص الأصلي ، أما ترجمة Nicholson فترجمته شعرية جميلة، وإن كانت لا تضاهي بلاغة وشاعرية النص الأصلي، ورغم افتراقها عن هذا النص أحيانا (يوئيل، حسن، الحلبي، و شاكر، د ت، صفحة 490).

ملاحظة: هذه الترجمة التطبيقية لم أترجمها، وإنما أخذتها كما هي من المرجع المدون في إحالتها.

لذا "فشل العديد من المترجمين في فهم أن النص الأدبي الذي تكونه مجموعة معقدة من الأنظمة الموجودة ضمن علاقة جدلية مع مجموعات أخرى خارج نطاق حدودها، وفشلهم هذا جعلهم يركزون على جوانب محددة من النص على حساب جوانب أخرى (باسنت، 2012م، صفحة 111).

- **مشكلات المعادلة:**

إذا كان مترجم معنى الكلام يسعى إلى إيجاد الكلمة العربية التي تنقل معنى الكلمة الإنجليزية فإن مترجم الشعر يحاول أو نحن توقع منه أن يحاول إيجاد الإيقاع الذي ينقل معنى الإيقاع في اللغة المنقول منها، أي أنه لن يأتي بالقوالب الصوتية نفسها والتي ترتبط بالكلمات الأصلية، ولكنه مثلما يحلُّ كلمات عربية محل الكلمات الأجنبية سوف يحل إيقاعا عربيا محل الإيقاع الأجنبي. ومثلما يجد من الصعب عليه أن يأتي بكلمة تترادف ترادفا كاملا مع الكلمة الأصلية، سيتعذر عليه إيجاد الإيقاع الذي يعادل تماما الإيقاع الأصلي. فلكل لغة إيقاعاتها، ولكل إيقاع أصوله وتنويعاته (عناني، أدبيات الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، 2003م، صفحة 96).

والمشكلة الأولى هي الاختلاف النوعي بين الإنجليزية والعربية في أصول الإيقاع الشعري- فالعربية ذات إيقاعات كمّيّة؛ أي تعتمد على عدد الحروف السّواكن والمتحركة جميعا باعتبارها أصوات تطرق

الأذن بغض النظر عن النبر Stress؛ أي الضغط على البعض دون البعض- أما الإيقاع في الإنجليزية فهو نبريّ qualitative؛ أي أنه يعتمد على طريقة نطق المقاطع في الحديث العادي، لا على عدد الحروف أو المقاطع (عناني، أدبيات الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، 2003م، صفحة 97).

03- الأعمال الشعرية المسرحية:

وتتفاوت الأعمال المسرحية الشعرية أيضا في مدى اتكائها على هذا النوع من النظم الذي يمكن أن نطلق عليه النظم الدرامي، وتتفاوت في درجة تحررها من الإيقاع الشعري، كما تتفاوت أجزاؤها المختلفة في درجة اتكائها عليه أو تحررها منه، فشكسبير دائما ما يخضع لغته لمقتضيات فنه الدرامي، وهو لا يتقيد بقوالب النظم الخارجية، ويكاد يبتكر أنواع الموسيقى التي تتطلبها مواقفه الدرامية (عناني، أدبيات الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، 2003م، صفحة 124).

وكالأمر في البلاغة لا يسوغ النقل أو الاستعارة إلا مع وجود وحدة الجامع أو القرينة، وعلى هذا الأساس يقول الدكتور مندور: إنه يمكننا الحكم على كل التعبيرات الرمزية التي شاعت في شعرنا المعاصر منذ جماعة أبولو حتى اليوم .. متى لم تتزاحم الرموز في القصيدة أو تتنافر؛ أي أن الدكتور مندور يريد أن نعتبر بالذوقية البصيرة الأخرى في مباحث علم البيان العربي (العبد، 2005م، صفحة 26).

فمن يحاول ترجمة "يوليوس قيصر" سيحاكي النظم الذي اختاره، أو أن يمزج بين النظم والنثر، مثلما حدث في ترجمة "روميو وجولييت"، ولكن دائما يكون الاصطدام بعقبة الأداء، وهي عدم استطاعة التضحية بأي جانب من جوانب اللغة المستخدمة تركيبا أو تنسيقا أو ألفاظا في سبيل الإيقاع الشعري! فلغة المسرحية تسيطر عليها دقة نادرة قد تفسدها إعادة ترتيب العبارة أو تركيب الجملة نُشدانا للإيقاع الشعري (عناني، أدبيات الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، 2003م، صفحة 124).

ويسيطر على المسرحية خصوصا في المواقف الدرامية الحرجة – منطق المتآمرين ومنطق الثأر المدروس المتأني، حتى حين يبدو أن الشاعر قد أطلق العنان لمشاعر الشخصيات، وجعلها تُخرج ما في باطنها دون حساب أو تدبير؛ ولذلك فقد فضلت آخر الأمر أن أقلع عن محاولة الترجمة المنظومة، وأن أستعيض عنها بإيقاع اللغة العربية الذي يتفاوت من موقف إلى موقف، ولكنه يتجاوب في كل حالة مع إيقاع الإنجليزية المنظومة فهو -في رأي- يمثل "البديل" لنظم شكسبير (عناني، أدبيات الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، 2003م، صفحة 125).

04- التفسير في ضوء اللغة الأم:

تتكون الترجمة الأدبية في نظري من مرحلتين:

الأولى- هي التفسير الخاص الذي يخرج به المترجم من النص الذي يتصدى له، وهو يفعل ذلك شاء، أو أبى في إطار اللغة التي وُلد في كنفها، ودرج على التفكير والإحساس بها، وهي لغة لا تنفصل عن الأدب الذي قرأه، والثقافة التي هي أسلوب حياته؛ أي إن عملية التفسير في جوهرها عملية أدب مقارن، لأنها تتضمن مضاهاة لا شعورية؛ أي عن غير وعي، وعن غير قصد بين ما يقرؤه المترجم، وما تراكم في وجدانه وعقله من تراث أدبي وثقافي (عناني، أدبيات الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، 2003م، صفحة 219).

فالقارئ كما نعرف من دراسات النقد الحديثة، لا يقدم عقلا أو وجدانا يشبه الصفحة البيضاء ليتلقى فيه العمل الأدبي الجديد، بل هو حتى دون أن يتعمد الترجمة يرجع دائما إلى لغته وتجربته الشخصية، خصوصا ما اختزنه من تراث الخبرة الأدبية، فالذي يقرأ أبسط عبارة يمكن أن نتصورها، وهي I love you لا بد أن يجد كلمة الحب العربية تطل برأسها من أعماقه، وهو لن يقف ليتأمل معنى العبارة إلا حين يتصدى لترجمتها في سياقها، وإذا تأملنا إمكانيات المضاهاة من خلال المتاح له، وجدنا أن الترجمة الأدبية في مرحلة التفسير –أي في المرحلة الأولى- لا تخلو من التضارب، فقد يرى أن المعنى في السياق يقتضي الإحالة فقط؛ أي إخراج المعنى الذي يرمي إليه المتحدث (أي مقصده) وهو (أريد الزواج منك) لا محض الإعراب عن الإحساس، وهذا هو الشائع في بريطانيا مثلا. وقد ذكر قصة اندهاشه من أحد أصدقائه عام 1966م حين أعرب عن حبه بهذه الطريقة لفتاة كان يصادقها فهاله أن ردت قائلة: " ولكن والدي قد يعترض زواجنا!" (عناني، أدبيات الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، 2003م، صفحة 219).

غير أن نقل هذا التراث عبر بيئات مختلفة في العقائد وطرق التفكير والانتماءات الثقافية جعل من عملية النقل والترجمة عملا غير بريء ولا نزيه؛ لأنه من الصعب أن نمحو أثر هذه الوسائط العديدة في الإضافة والتعديل والحذف (الخطيب، د ت، صفحة 03).

وقد يرى المترجم أن المعنى في السياق هو الإعراب عن عاطفة جائحة، أو عن مجرد تقدير لمركز المخاطب، أو الإعراب عن إعجاب المتحدّث، وهذا من خصائص اللغة الشائعة في البلاد الناطقة بالإنجليزية

بعمل أنجزه المخاطب! (عناني، أدبيات الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، 2003م، صفحة 219)

05- ترجمة الشعر:

إننا نقسم الأدب في العربية بصفة عامة إلى نوعين كبيرين هما: الشعر، والنثر، ولا نقسم الشعر بعد ذلك إلى أنواع مثلما يفعل الأوربيون، وهي الأنواع الشكلية المألوفة من شعر قصصي، وشعر ملحمي وشعر مسرحي، وشعر غنائي، ولكننا نقسمه وفقا للموضوع الذي يتناوله الشاعر؛ أي أن تقسيماتنا الادبية موضوعية لا شكلية، فكل الشعر القديم موزون مقفى، وهو ينضوي جميعا تحت الباب الذي يسميه الأوربيون الشعر الغنائي، وليس معنى هذا الشعر الذي يغنيه المغنون، ولكنه يعني الشعر الذي يكتب من وجهة نظر الشاعر، وبلسان الشاعر نفسه؛ أي أن القارئ أو السامع يفترض أن القائل هو الشاعر نفسه لا إلى شخصية حقيقية أو خيالية من ابتداعه، ويتميز هذا الضرب من الشعر أيضا بأنه يعبر عن مشاعر الشاعر نفسه، وبغلبة الموسيقى عليه، وجمال إيقاعاته (عناني، أدبيات فن الترجمة، 2005م، صفحة 146).

وعندما يتصدى المترجم لترجمة قصيدة غنائية من الإنجليزية إلى العربية مثلا، فهو يضع في اعتباره كل هذه الخصائص، ويحاول أن يبرزها إلى جانب المعاني والصور التي يقدمها الشاعر؛ أي أنه لا يقدم فقط معنى الألفاظ؛ لأن معنى الألفاظ لا يمكن أن يكون مساويا للقصيدة، وإلا فما ضرورة أن يعبر الشاعر عن نفسه شعرا بدلا من كتابة النثر في صورة من الصور؟ وهذا مبدأ من مبادئ النقد الحديث ينبغي أن يضعه المترجم نصب عينيه (عناني، أدبيات فن الترجمة، 2005م، صفحة 147).

يمكن القول: إن المترجم الموفق في ترجمة الشعر ترجمة حرفية تفي بالدلالة، وتحقق الوزن الذي يعد خاصية من خصائص الشعر، متفاديا بذلك أسلوب التصرف بوجه عام، والذي عادة ما يطغى على ترجمة هذا النوع من النصوص الأدبية.

فالترجمة بين اللغات المتعددة مرهونة بعكس التفسير المبدع للمترجم لنص اللغة الأصل. وعلاوة على ذلك، فإن الدرجة التي يقوم بها المترجم بإعادة صياغة كل من الشكل، والوزن الشعري، والإيقاع، والنغمة، والكتابة...إلخ لنص اللغة الأصل سيحددها نظام اللغة الهدف، وكذلك نظام اللغة الأصل كما سيعتمد تحديدها أيضاً على وظيفة الترجمة. وإذا كان المقصود بالترجمة ترجمة سطر بسطر من نص اللغة الأصل، فسيكون ذلك هو المعيار الأساس (باسنت، 2012م، صفحة 115).

من هنا يتضح أن المترجم قد يتبع منهجية تراعى فيها شعرية النص الشعري وإيقاعه من خلال النقل الحرفي للنص الأصل، مع بعض الإضافات والإيضاحات التي لا تفقد النص الأصلي وزنه، كما لم تخل بمضمونه، فجاءت الأبيات حيوية وجميلة، ولو اضطرها ذلك إلى إحداث بعض التصرف البسيط في بنية النص دون المساس بالمضمون العام، وهذا ما يخولنا القول باعتماد منهجية تجعل من الترجمة ترقى إلى مستوى الكتابة الشعرية، وقد تأتى ذلك من خلال احترامها للحرف الأجنبي بخصائصه الدلالية والشكلية والجمالية.

وما دامت هذه الصفات تمثل جانبا كبيرا من معنى القصيدة وهو ما نسميه المعنى الشعري للعمل الأدبي – تمييزا له عن المعنى النثري، أو معنى الألفاظ في ذاتها، فلا بد أن تتمتع بالأولوية في الترجمة بحيث يُخْرِج المترجم (الذي لا بد أن يكون قادرا على نظم الشعر هنا، بل وأن يتمتع بحس فني مرهف) أقول: بحيث يخرج المترجم مثيلا للقصيدة التي يترجمها بلغة الضاد –قصيدة تجمع خصائص العمل الأصلي أو معظمها، وأهمها كما قلت: الوزن والقافية والمعاني والصور (عناني، أدبيات فن الترجمة، 2005م، صفحة 147).

والشعر نوع خاص من الأدب يتميز بموسيقاه التي تنبع أساسا من وزنه وقافيته. والشعر –وخاصة الحديث منه-يُعبر أساسا عن العاطفة، ويثير في القارئ أو السامع أحاسيس وعواطف أكثر من إثارته للفكر (عز الدين، 2005م، صفحة 197).

والشعر في اللغة العربية نوع واحد يعادل الشعر الغنائي الإنجليزي Iyric والذي يقسمه العرب حسب الغرض منه إلى مديح وهجاء وحماسة وغزل ...الخ أما في اللغة الإنجليزية فهناك أنواع عديدة من الشعر مثل: الملحمي epic والقصيدة الروائية ballad والشعر الدرامي dramatic والتأديبي didactic والتهكمي أو الهجائي satirical، أما الشعر الغنائي الإنجليزي Iyric فينقسم إلى المديح والفخر ode والرثاء elegy والرعويات pastoral والأغنية song ، وهذه الأنواع الأخيرة قريبة من الشعر العربي (عز الدين، 2005م، صفحة 197).

يستعمل الكتاب وخاصة الشعراء الكثير من المفردات والكلمات بمعان معينة قد تقترب أو تبتعد قليلا أو كثيرا عن المعاني المألوفة لتلك المفردات، وهذه المعاني يدركها المترجم من سياق القصيدة، ولو أنه قد يحتاج في بعض الأحيان إلى الاستعانة بالشروح والهوامش النقدية، بل وبالدراسات النقدية أحيانا ليصل

إلى المعنى الدقيق لهذه المفردات (عز الدين، 2005م، صفحة 197).

خاتمة: ومما خلصت إليه من نتائج عن الموضوع ما يلي:

- تعد ترجمة النصوص الأدبية من أعقد أنواع الترجمة؛ لأنها عملية تقوم على مقاربة بين طرائق وأساليب لغوية مختلفة ومرجعيات ثقافية متباينة، فلا يكاد يخلو مسارها من مخاطر ومطبات تجعل منها فنا راقيا لا يضطلع به إلا من تهيأت له أسباب ذلك، إذ لا تنحصر مهمة المترجم الأدبي في معالجة الكلمات والعبارات، واستبدالها بما يقابلها في لغة من اللغات، ولكن دوره يتعدى هذا التصور الساذج، لأنه يقوم بنقل رؤى عالمية وتجارب ذاتية بأمانة تولى للكاتب ومقاصده، وللعمل الأدبي وجمالياته، وللقارئ وخلفياته. ولا يتأتى ذلك له إلا بالإلمام بجملة من الخصائص الذاتية بالإضافة إلى اعتماد منهجية مبنية على أسس علمية من شأنها أن توجه المترجم أثناء القيام بعمله إلى الطريقة الأنسب لمقاربة هذا النوع من النصوص.
- ومن أنجع المناهج لترجمة هذه النصوص ضرورة التزام منهج الحرفية في نقل النصوص الأدبية، باعتبارها تحقق الأمانة التي تنشدها النصوص الأصلية، ثم ضرورة مراعاة القارئ وخلفياته وتحقيق المقبولية في الثقافة المستقبلة، وذلك من خلال تحقيق السلاسة والمقروئية.
- أصبحت مهمة المترجم عملا على معنى الرسالة لا الكلمات، ومن ثم أصبحت إشكالية ترجمة الشعر بصورة عامة إشكالية تأويلية من الدرجة الأولى، يسلك المترجم في عمله على المعنى نفس مسار كاتبه.
- ترجمة الأثر الأدبي لا تصح أن تجرده من صفته الأدبية، وتحوله إلى كلام عادي لا حياة فيه، بل ينبغي أن ترتقي إلى مستوى الكتابة الشعرية لتبقي عليه رونقه وجماله وسحره وتأثيره، وإذا حصل ذلك فإن اللغة المنقول إليها تكتسب أثرا أدبيا مدونا ومنقولا.
- في نقل العناصر الشعرية لا نكتفي بنقل المضمون الأصلي، بل الوزن والإيقاع والسجع، مع إجراء التعويض الذي يؤدي إلى المحافظة على المؤثرات الصوتية والإيقاع والسجع المتوثب بين مقاطع النص الأصل، مما يستوجب الوفاء لها، وهو ما يدل على اهتمام الترجمة بنقل خصائص الحرف الأجنبي الجمالية والدلالية معا.

المراجع المعتمدة:

أحمد أبو الوليد ابن زيدون . (2005م). *ديوان ابن زيدون* (المجلد 01). (عبد الله سنده، المحرر) بيروت لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

إنعام بيوض. (2003م). *الترجمة الأدبية مشاكل وحلول* (المجلد 01). بيروت لبنان: دار الفارابي.

حسام الدين مصطفى. (2011م). *أسس وقواعد صنعة الترجمة*. د د ط.

سوزان باسنت. (2012م). *دراسات الترجمة* (المجلد 01). (عبد المطلب فؤاد ، المترجمون) وزارة الثقافة - دمشق: منشورات الهيأة العامة السورية للكتاب.

صفوت الخطيب. (د ت). *نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية*. القاهرة مصر: مكتبة نهضة الشرق.

عبد الحكيم العبد. (2005م). *حركة الترجمة الحديثة اتجاهاتها ومعطياتها في الأدب ومناهج البحث* (المجلد 01). بيروت لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

كريستين دوريو. (2007م). *أسس تدريس الترجمة التقنية*. لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

محمد عناني. (2003م). *أدبيات الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق* (المجلد 02). مصر: دار نوبار للطباعة والتوزيع.

محمد عناني. (2005م). *أدبيات فن الترجمة* (المجلد 05). مصر: دار نوبار للطباعة.

محمد نجيب عز الدين. (2005م). *أسس الترجمة من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس* (المجلد 05). مصر: مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع.

يوسف عزيز يوئيل، عبد المقصود حسن حسن، عبد المقصود سمير الحلبي، و محمود شاكر. (د ت). *الترجمة العلمية والتقنية والصحفية والأدبية*. الجمهورية العراقية: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.